

الجنرال المؤذن

المؤلف: الدكتور/أحمد محمد زين المتأowi

التاريخ: 27/12/2017

إذا قيل لأحدهم إن شيوخاً ملحداً يصلي وحده في منزله لأصابته الدهشة!!

وإذا قيل له إنه يصلي في جماعة فستزداد دهشته!!

أما إذا قيل له إنه يؤذن للصلوة في مسجد أو يوم المسلمين فإن تقدير رد فعله متربوك لك..

لكن عليك بتقديره قبل أن تبدأ قراءة حكاية إسلام أناطولي بطل هذه القصة..

ولد أناطولي في مدينة باكو بأذربيجان، ونشأ في صغره بين مطرقة أسرة نصرانية غير متدية وسندان حكم شيوعي يرى أن الدين أفيون الشعوب [1] وبين هاتين المزدوجين شَّتَّ أناطولي ملحداً ينكر وجود الله ويُكفر بكل ما هو غبي خارج حدود المادة، وتربطه بالنصرانية فقط هوبيته التي لم تجد لها طريقاً إلى قلبه ب رغم أنف قساوسة الكنيسة [2]

حينما التحق أناطولي بالمدرسة كان يشعر بالضيق من أحاديث زملائه من المسلمين حينما يتحدثون في أمور الدين.. أحس زملاؤه بتضايقه منهم ثم علموا أنه شيوعي قح متزمت فتجنبوه اتقاءً لبطشه.. في المقابل حقد عليهم حقداً تناهت جذوره بصورة طردية مع نموه [3]

عقب إكماله دراسته التحق أناطولي بالجيش، وترقى في الرتب، حتى بلغ رتبة لواء (جنرال).. وطوال فترة خدمته بالجيش كان يضرب به المثل في الشيوعي المنضبط الذي يحفظ تعاليم ماركس ويطبقها ربما أكثر من أصحابها.. وب الرغم كفره بكل الديانات فإن حقده على الإسلام كان أشد وأنكى، بل كم صرخ عن رغبته في قتل كل مسلم تقع عليه عيناه [4]

فرح كثيراً عندما سُنحت له الفرصة في تحويل رغبته المتوجهة تلك إلى واقع ملموس!! فكلف قيادة القوات الروسية في جبهة قندهار بأفغانستان لردع المجاهدين الأفغان الذين ثاروا على الحكم الشيوعي في بلادهم المسلمة [5]

وصل الجنرال أناطولي إلى أفغانستان لتنفيذ مهمته الخطيرة.. وبالطبع لم يكن في حاجة إلى توصية بضرورة سحق أولئك الذين رفضوا أفكار ماركس وتعاليم ليتين، لأن حقده الدفين القديم على الإسلام كان يكفي لجعله يرتكب المجازر الدامية مستخدماً الأسلحة الفتاكه ضد جماعات مسلحة بعدد قليل من البنادق وقدر عظيم من الإيمان [6]

عندما بدأ هذا الجنرال تنفيذ مهماته الخطيرة.. وبالطبع لم يكن في حاجة إلى توصية بضرورة سحق أولئك الذين رفضوا للمجاهدين الأفغان كجماعة متخلفة يتسبّب أفرادها بأوهام غبية عديمة المعنى، بل كعصابة بدائية يعاونها التحضر والمدنية كما يعاون الإنسان البرص والجذام.. ما عزّز من ثقته بهزيمتهم حقيقة أنهم لا يملكون سوى أسلحة تقليدية بسيطة محدودة لا قدرة لها على الصمود في وجه أسلحته الفتاكه.. لكن!! ما أن بدأت المعارك حتى وجد أناطولي جيشه العرم ذات العدة والعتاد العظيمين يواجهه رجالاً أشواوس يقاتلون ببرavery باهرة ويحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة.. ويملكون سلاحاً ذات قوة مطلقة لا تصمد في وجهه ترسانة الدمار السوفيتية الفتاكه، إنه سلاح الإيمان وما أعظمها من سلاح!! بل إن الموت والشهادة في سبيل الله أسمى أماناتهم [7]

فجع الجنرال أناطولي بمرأى قواته وهي تناول الهزيمة تلو الأخرى من قبل فصائل المجاهدين قليلي العدد والعتاد.. وجد نفسه يعيش في حالة من الهلع والحيرة أمام النتائج غير المنطقية التي تلوح أمامه؛ فالحسابات البسيطة - وهو الرجل المادي والخبير العسكري - ما كان يتوقع أن يصدّأمامه عدوه سوى لحظات قلائل.. ومما زاد من حيرته ثبات الأسرى الذين لم يزدّهم التعذيب الوحشي الذي تلقوه من قبل جنوده - وبأمر منه- إلا ثباتاً على الحق وصلابة في مواجهة الباطل [8]

نتائج معاركه غير المنطقية هذه جعلت تفكيره ينحو منحى آخر غير مادي، إذ أحس بأن هناك قوى غيبية تحرس انتصار الأفغان وتقف وراء انتصارهم.. هرائهم الأخيرة التي تلقاها من المجاهدين الأفغان أيقظت فطرته السليمة فقرر مجالسة بعض الأسرى لعله يكتشف سرّهم الخطير المحير!

احتار الحاجب حينما طلب منه الجنرال أن يأتيه ببعض الأسرى وهو الشيوعي الملحد الذي كان يعاون المسلمين بشدة بل زادت حيرته - أي الحاجب- حينما طلب منه أن يقدم لهم الطعام والشاي!

تفاجأ الأسرى بالجنرال المتكبر والطاغية المتوجه وهو يجالسهم ويتحدث معهم بلطف ومودة ويسأله العديد من الأسئلة عن الدين

الإسلامي الذي لم يأت من بلاده إلا ليحاربه.. في حضرة المشهد الباهر المحير نسي الأسرى معاناتهم فسألوا الله تعالى للجنرال جلادهم السابق وجليسهم الحالي.. حدثوه عن الإسلام حديثاً يلين القلب ويقنع العقل.. تأثر كثيراً بحديثهم وبدأ يشك في صدقية أفكار ماركس ولينين.. بل أصبح غير مقتنع بالحرب التي تخوضها بلاده ضد أناس أبرياء.. وبرغم ذلك استمر في تنفيذ ما يتلقاه من تعليمات وأوامر منهم ولكن ليس بنفس حماسته السابقة

شعر أناطولي براحة كبيرة عندما قررت حكومته الانسحاب من الحرب بعد الهزائم الفادحة التي منيت بها من قبل المجاهدين الأفغان.. عاد إلى باكو تقدمه طلائع المهموم وتظلله سحب الحيرة بعد أن زلزل كيانه حتى المخيخ صراع نفسي رهيب

عاد الجنرال إلى أسرته الصغيرة مستنجداً بزوجته وابنته وابنه عسامه يساعدونه في التخلص من اضطراباته.. حاول جاهداً البحث في باكو عن معين يرشده إلى الحقيقة بين دعوة المسلمين.. فشل في مساعيه لأن منصبه العسكري الرفيع جعل الجميع يعيشون وسط دوامة من الشك والخوف مردّها خشيتهم أن يكون متسوشاً عليهم من قبل السلطات الشيوعية التي تطارد الدعاة أينما وجدوا وتهدم المساجد على رؤوس المصلين

لكن فجأة وعلى غير توقع منه وجد ضالته المنشودة حينما تم نقله إلى "لما آتا".." لقد تعرف هناك إلى الداعية الإسلامي الشيخ محمد حسين الذي غمر روحه المتعطشة للحقيقة بالإجابات الشافية لكل تسؤالاته المحيرة العديدة حتى اقتنع بالدين القويم.. لكن برغم اقتناعه باعتناق الإسلام فإن الحظوظ الدنيوية جعلته يرکن إلى التردد لعدة أسابيع؛ إذ كان خائفاً على فقدانه منصبه الكبير، فضلاً عن أن أصدقائه نصحوه بتجنب ضربات الويل والثور التي سوف يصليه بها قادة النظام الشيوعي

وفي صبيحة يوم مشرق غير عادي استيقظ أناطولي من نومه وقد وصل إلى قناعة تامة في اتخاذه لقراره المصيري الصائب، فضرب بنصيحة زملائه عرض الحائط، وتوجه إلى الشيخ محمد حسين في الإدارة الدينية حيث نطق أمامه بالشهادتين واختار أن يتسمى باسم "علي".." عقب إعلانه لإسلامه قفل عائداً إلى أسرته تقدمه طلائع الفرح بيد أن أسرته استقبلته بوجوم كاد يفسد بهجته.. نعم قلقت أسرته باعتناقها الإسلام، غير أن قلقها ازداد واحتلّ بالتعجب حينما رأته يتحول من جنرال كبير إلى مؤذن للمسجد

بعدها اجتهد "علي" غاية الاجتهد في سبيل إقناع زوجته وأولاده باعتناق الإسلام، وكان له ما أراد إذ شاء الله تعالى أن يعتنق أفراد أسرته الثلاثة الإسلام لتكتمل فرحة الأسرة الصغيرة بإيمانها العظيم

للإلمام بتعاليم دينه أخذ "علي" يتلقى دراسات إسلامية متخصصة على أيدي عدد من المشايخ، ومن ثم أخذ يعلم هذه التعاليم لزوجته وأولاده

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى أن أسرة علي الصغيرة عمرتها السعادة مرتبين: المرة الأولى عندما اعتنق كل أفرادها الإسلام، والمرة الثانية عندما سقط النظام الشيوعي الملحد وعادت القيم الأصيلة إلى بلدتهم الحبيب جمهورية أذربيجان الإسلامية

نعم.. لقد انهزم الجنرال عسكرياً في أفغانستان.. لكنه الفائز من الخسارة.. الفائز بالإيمان.. وما أعظمها من فوز..

فسبحان من يلئن قلوب العصاة الجبارية!!..

الآن قلوبهم.. وما أنت بجبار مثلهم.. فلين قلبك أيسر وأقرب..

فقط توجه إليه.. افتح قلبك للنور..

أسأل الله الهدى.. فبالله نهتدى إلى الله

المصادر:

الألفي، أسامة (2005): لماذا أسلموا؟ القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي

فارس، نايف منير (2010): علماء ومشاهير أسلموا؛ الكويت: دار ابن حزم

عبد الصمد، محمد كامل (1995): الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء؛ ثلاثة أجزاء؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانيّة للنشر

ابن علي، أبو إسلام أحمد (1429 هـ): عادوا إلى الفطرة: 70 قصة حقيقة مؤثرة؛ مكتبة صيد الفوائد <http://www.saaid.net>

